اللغات بين التعامل الواقعي والتأصيل الشرعي

د. عبد الله قاسم الوشلي
كلية التربية – جامعة صنعاء

المقدمة :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، جعل اختلاف الألسن آية، ومعرفة اللغات علماً، والخطاب بها بياناً، وترجمتها أماناً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ميز لغة العرب بالدين، وخص بها كتابه المبين، وجعل تعلمها فريضة على المؤمنين، فيما لا يتحقق إلا به شعائر الدين.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله القائل لزيد بن ثابت: « تعلم كتاب يهود، فإني ما آمن يهودياً على كتابي » صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا الدنيا، وعلموا البشرية الدين، ونشروه بين مختلف الأجناس، على اختلاف اللغات واللهجات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: لقد جعل الله وسيلة التخاطب بين الناس اللسان، وطريقة معرفة ما لدى الآخر، عما يعبر به عما في نفسه ومكنون سره اللغات واللهجات، فهي أداة نقل الأفكار والمفهومات، ووسيلة تبادل المعلومات، وإشاعة الحضارات وتعميمها. وقد اقتضت سنة الله في الخلق وسبقت إلى ذلك إرادته، أن لكل قوم لساناً، يتخاطبون به فيما بينهم فيعرف المخاطب ما يريد منه الآخر، فعلمهم ذلك، وسن لهم طريقة المعرفة لها: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ [البقرة: ٣١ – ٣٣].

ومن رحمته بعباده وهو يريد منهم التزام الهدى، والاستجابة للنداء، والإيمان بما أرسل به الرسل، وإقامة الخلافة في الأرض على مقتضى ما استخلفهم عليه، وتحقق العمارة على الوجه الذي يرضاه، أن أرسل إليهم رسلاً يتكلمون بكل لسان، ليتحقق على أيديهم البيان، وتقام الحجة ويدحض البطلان: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [إبراهيم: ٤].

فكان اختلاف الألسن وتباين اللغات وحصول التفاهم بها ومعرفة ما لدى الآخر آية من آيات الله: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم: ٢٢].

لذلك كان لهذا اللسان أهميته، وكان لمعرفة اللغات واللهجات مكانتها، وهي ضرورة يصعب على الإنسان فقدانها، ويعاني من ذلك الحرمان، لذلك كانت اللغة من أول ما تتلقى، والتعليم عليها من أول ما يُهتم به، والتخاطب بها من أول ما يسعى إليه، فلا يعرف الناس بعضهم بعضاً إلا بها، ولا يدرك الآخر ما يراد منه إلا عن طريقها: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ [الحجرات:١٣].

واللغات كلها في مقام واحد ومنزلة واحدة إلا لغة القرآن – لغة العرب – التي تميزت على ما سواها من اللغات، لكونها لغة كتاب الله، واختص بها خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، واللغة التي ارتبطت بها كثير من أحكام دين الله الخاتم، لذلك كان لها هذه الميزة والتقدم، وأودع الله فيها من الخصائص ما لم يكن لغيرها، فكانت اللغة الوحيدة التي فرض على أهل الإسلام تعلمها، وأوجب على ذويها تعليمها، فأصبحت بحق أم اللغات ومقدمها، إلا أن هذا التقدم وهذا التميز وهذا الفضل جعل البعض ينظر إلى اللغات الأخرى نظرة دون، ولا يحسن بالمسلم أن يكون له اشتغال بها، ولا بذل جهد في التعرف عليها، وحسبه أن يقر أهلها عليها، ولا يكون له إلمام بها إلا في حدود الضرورة

والاحتياج، وهذا أمر صحيح عندما تكون تلك اللغة لغة مستعمر، وأعلن بها الحرب على لغة العقيدة والدين، وحرص على أن يحلها محل أفضل لغة وأحسن لسان.

أما عندما تكون اللغة هي لسان قوم، وتبادل المصالح ارتبط بتداولها، ودرأ المفاسد معقود بنواصيها، والاستفادة من حضارة الشعوب متعلق بها، ولا ضرر على لغة الدين من تعلمها وتعليمها والتخاطب بها، ولا خطر على الشعوب في تداولها، فعند ذلك لا تكون تلك النظرة سليمة وصحيحة، وتحتاج من صاحبها أن يراجع نفسه، ويعمل في ذلك عقله، ويحاكم تلك النظرة إلى مصادر معتقده وشريعته، لكي لا يكون بعيداً عن الصواب، ومحروماً وحارماً الغير من الاستفادة والانتفاع بما هو مباح ومشروع، وما هو جار وفق سنن الله ومقتضى إرادته، وإحدى النعم المسدلة على عباده التي جعلها محلاً للامتنان باعتبارها من عظائم آياته.

وهذا السبب هو الذي حدا بي إلى أن أخوض في هذا الموضوع، وأبين ما جاء في اللغات من هذا الدين، وأن أجلي الحقيقة مؤيدة بالدليل، وموضحة بالبرهان متعرضاً لخلاف العلماء وعارضاً أدلتهم ومبيناً وجه الحق بالدليل.

وقد جعلته في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة مشتملة على ملخص البحث، وهذا أوان الشروع:

المبحث الأول

في التعريف باللغة: لغة، واصطلاحاً، وقرآناً، وسنة، وبيان أصل نشأتها

اشتقاق لفظة (اللغة) : جاء في لسان العرب: اللغة اللّسْنَ، وهي فُعلَة من لغوت أي تكلمت، أصلها لُغوَة ككرة، وقلة، وثبة. جمعها لغات ولُغُوت، ولِغي، ومصدره: اللغو وهو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به.

واللغو : النطق، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون، ولغوى الطير أصواتها، والطير تلغي بأصواتها أي تنغم [1]. إذن لفظة اللغة في اللغة تعني : اللسن، والكلام، والصوت، والنغم .

اللغة في الاصطلاح: لا تبتعد عن هذا المدلول اللغوي ومشتقاته حيث يعرف عند أهل اللغة بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [2]. ويعرفه البعض : بالكلام المصطلح عليه بين كل قبيل.[3]

ويقول البعض أنها تطلق على القدرة على تسمية الأشياء المصطلح عليها بين كل قبيل، أخذاً بقوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها﴾ سورة البقرة : آية (٣١) .

وهذه التعريفات متقاربة وتعد من باب التنوع لا من باب التضاد.

اللغة في القرآن :

ولفظة لغة لم ترد في القرآن الكريم، وإنما جاءت لفظة لغو، إلا أنه ورد في معناها في القرآن بلفظ لسان جمعه ألسن ، ولِسُن . يقال لكل قوم لسان ولسن بكسر اللام أي لغة . قال تعالى : ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدّا﴾ سورة مريم : آية (٩٧) .

---

[1] ابن منظور لسان العرب مادة لغا: ٢٥١/١٥ – ٢٥٢ طبعة دار صادر بيروت .

[2] نفس المرجع، وانظر مجمع اللغة العربية، والمعجم الوسيط: ٨٣١ .

[3] انظر المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: ٦٢١–٦٢٢ طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٠م) ومجمع اللغة العربية. والمعجم الوسيط: ٨٣١.

ومما يؤكد أن اللسان هنا اللغة، قوله تعالى في حق الرسل المبلغين عنه ما أرسلوا به: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ سورة إبراهيم : آية (١٠)، أي بلغة قومه .

اللغة في السنة :

أما في السنة : فقد جاء فيها لفظ اللغة بمدلول اللفظ اللغوي، ومعناه، في مسند أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه» [٤] ، وهذا الحديث تفسير لمعنى اللسان الوارد لفظه في القرآن.

والخلاصة أن اللسان هو اللغة، بدلالة القرآن، والسنة ، والمعنى اللغوي . وهي تعني الأصوات والكلام والنغم المصطلح عليه بين كل قبيل الذي يعبرون به عن أغراضهم . فهي إذاً وسيلة الاتصال بين البشر في شكل أصوات منظمة ، وهي المزية التي يتميز بها الجنس البشري عن سواه .

أصل نشأة اللغة :

يقول بعض أهل اللغة لا نكاد نعلم شيئاً عن أصل نشأتها [٥] – يعني اللغة – وهذا القول – بعدم علمهم بذلك – لا يعني أنه غير معلوم أصل النشأة ، بل إن أصل نشأتها معلوم عند المسلمين ، حيث أن القرآن الكريم يفيدنا بأن الله علمها آدم عليه السلام فقال : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ سورة البقرة : ٣١ ، فالأسماء هنا العبارات ، فإن الاسم يطلق ويراد به المسمى، وهذا هو أشهر التأويلات، والأسماء التي أطلع عليها آدم عليه السلام هي مسميات جميع الأشياء، جليلها وحقيرها، كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، وابن جبير، رحمهم الله وهذا هو الذي يفيده لفظ : ﴿ كلها ﴾ من الآية إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم، ويؤيده الحديث المرفوع من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ويجتمع المؤمنون يوم القيامة

---

٤ الإمام أحمد بن حنبل: المسند: ١٥٨/٥، طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م، والطبعة الجديدة: ٢٢٣/٣٥ رقم: ٢١٤٣، متنه صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح.

٥ مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الموسعة: ٤٠٤.

يقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ... الحديث »[٦] . قال ابن خوبز منداد : في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً ، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً .[٧]

إلا أن القول بأنها توقيفية مبني على كون تعلمه لها عن طريق الوحي أخذاً من قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ وهذا اللفظ لا يفيد التلقي عن طريق الوحي فقط، فقد يكون تلقاها بطريق أخرى، هي أن الله عز وجل خلق في آدم القدرة على تسمية الأشياء ومعرفتها ، والإشارة إلى أشخاصها بأسمائها ، وألهمه ذلك إلهاماً لا عن طريق الوحي المباشر . ولذلك كان الخلاف شديداً بين الفقهاء والمحدثين والاصوليين في كونها توقيفية أو غير ذلك .[٨]

وروى عن كعب الأحبار رحمه الله: أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها ، وتكلم بالألسنة كلها آدم عليه السلام، وقال القرطبي: والصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها أبو البشر آدم عليه السلام، والقرآن يشهد له، فإن الله تعالى قال: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته، وبهذا جاءت السنة، قال ﷺ: « ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ حتى القصعة والقصيعة». إذاً فاللغة التي علمها آدم عليه السلام ونطق بها هي اللغة الأم.[٩]

---

٦ الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري صحيح البخاري: ١٤٧/٥. دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م .

٧ أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٢٨١/١–٢٨٣ . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

٨ شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : ٤٤٦/١٢ . توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة السابعة سنة (١٩٩٩م)

٩ تفسير القرطبي : ٢٨٣/١ – ٢٨٤ مرجع سابق .

اللغات من آيات الله :

واختلاف اللغات والألسن وتنوعها مما امتن الله عز وجل بها على عباده، وجعلها آية، لفت أنظار العالمين إلى عظمتها، وجعلها محل تأمل وتذكر وتفكر تستوجب الشكر من هذا الإنسان لله عز وجل، لذلك قال تعالى وهو يعدد آياته العظيمة على هذا الإنسان: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ سورة الروم:٢٢.

قال الراغب الأصفهاني: (فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يراها البصر) [١٠].

قال ابن كثير: (يعني اللغات، فهؤلاء بلفظ العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكرور، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم) [١١].

أنواع اللغات ومسمياتها:

اتفق علماء اللغات والأنساب معاً على أن الأمم بعد نوح عليه السلام ترجع إلى أحد أصول ثلاثة تفرعت منها فيما بعد هي: سام، وحام، ويافث، أبناء نوح عليه السلام، وفي ذلك يروي ابن عبدالبر في كتابه أنساب العرب والعجم حديثاً عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم» [١٢].

وإذا كانت هذه حقيقة الأمم وإنها من ولد الثلاثة أبناء نوح، فإن علماء اللغات يقسمون اللغات إلى ثلاث فصائل:

---

١٠ العلامة الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧ . تحقيق نديم مرغلي. دار الكتاب العربي

١١ الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم : ٥٣٠/٣ . طبعة دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض سنة ١٩٩٧م

١٢ الحديث رواه الترمذي رقم: ٣٢٣١، وأحمد في مسنده: ٢٩٢/٣٣ رقم: ٢٠٠٩٩، ٢٠١٠٠، والحاكم عن سمرة في المستدرك: ٢٤٦/٢، وذكر الحافظ العراقي في كتابه القرب في حجية العرب ، وقد روي عن عمران بن حصين مرفوعاً .

- الفصيلة الحامية السامية.
- الفصيلة الهندية الأوربية.
- الفصيلة الطورانية.

وتحت كل فصيلة فصائل فرعية، ومجموعات من اللغات متفرعة منها، ويوجد الآن ما يجاوز الألف من الجماعات اللغوية، بل ثلاثة آلاف لغة يتكلم بها اليوم حسب تقديرات الباحثين، منها ما يبلغ عدد المتكلمين بها عدة ملايين ومنها ما لا يزيد عددهم على بضع عشرات من الناس.

المبحث الثاني
في اللغة العربية فضلها وحكم تعلمها

لغتنا الأم (اللغة العربية):

يقول الأستاذ أنور الجندي: (من بين ثلاثة آلاف لغة تستعمل اليوم في العالم حسب آخر تقديرات الباحثين تبدوا اللغة العربية – لغتنا الأم – نتاجاً متميزاً وشيئاً مختلفاً من العسير أن تخضع في دراستها للقوانين التي وضعت لدراسة اللغات.

وإن نظرة واحدة على تأريخ نشأتها قبل أن تتصل بالقرآن الكريم لتكشف عن ذلك الإطار الذي احتواها منذ عصرها الأول ، والظروف والأوضاع التي أحاطت بها ، والتي ظهر من بعد ، كيف كانت تعد لأخطر مهمة، ولأكبر رسالة، ولأن تكون لغة الكتاب الخاتم المنزل من عند الله عز وجل ، ورسالة الدين الذي جاء للعالمين وللناس كافة) .

ثم يقول: (واللغة العربية فرع من مجموعة اللغات التي ظهرت في الوطن العربي وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون، والآشوريون في العراق، والسريانيون، والفينقيون في الشام والحبشة، وفيما وراء الساحل العربي البحر الأحمر "بحر القلزم" ولها صلة عظيمة جداً بلغة قدماء المصريين. وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يعتبرن كلهن لهجات لغة واحدة هي اللغة الأولى القديمة التي انصهرت في هذه اللغات من بعد).[١٣]

ونتيجة للدراسات المختلفة التي أجريت على آثار اللغات التي ظهرت في الموطن العربي قبل الإسلام ، يتأكد القول بكل حزم: أن العربية أرقاهن ، ومعنى هذا أنها أعرقهن في القدم فلا تبعد أن تكون البنت الكبرى لأمها الأولى السامية.

إذاً فاللغة العربية كما يقول العطار : إحدى اللغات التي قدمت على وجه الأرض، وأدت رسالتها في الحياة كخير ما تؤدى الرسالات، وعبرت في أصولها الأولى عن حاجات المجتمعات التي كانت تتخذها لغة يعبر بها عن مطالبها،

---

١٣ أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن: ٢١ – ٢٢.

وحاجاتها، وآلامها، وآدابها، وعلومها، وفنونها، ولم تجمد في ماضيها أو تقف عن السير مع الزمن والحياة ، بل مشت مع كل مجتمع عربي تسمو بسموه وتتأخر بتأخره ، وهو نفسه يسمو بسموها ويتأخر بتأخرها .

والذي جعلها في هذا المستوى غناها بثروتها اللغوية التي يصعب إحصاؤها، وكثير من موادها غير مستعمل، وكثير منه غير معروف. وقد قال الكسائي: (قد درس [١٤] من كلام العرب كثير) [١٥]. وقال أبو عمرو: (ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير).

ويشهد لذلك أن المستعمل من العربية في عصرنا الحاضر لا يكاد يزيد على عشرة آلاف مادة، مع أن "الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري" يضم أربعين ألف مادة، و"القاموس للفيروزبادي" ستين ألف مادة، و"التكملة" ستين ألفاً، و"اللسان لابن منظور" ثمانين ألفاً، و"تاج العروس للمرتضى الزبيدي" مائة وعشرين ألف مادة، مع أن ما يستعمل من ألفاظ اللغة لم يتجاوز عشرة آلاف من المواد فإنها لم تضق عن كل حاجات الإنسان وتجاربه وخواطره وعلومه وفنونه وآدابه، بل اتسعت لروافد الحضارة والعلوم غير المعروفة عند العرب في أزهى العصور الإسلامية.

فضل اللغة العربية:

ويكفي اللغة العربية فضلاً وشرفاً وأهلية لهذه المكانة العالمية كونها لغة القرآن الكريم كلام الله الأبدي إلى عباده ، وكونها لغة الدين الخاتم الخالد إلى كافة الناس ، وأنها لغة العلم والتفقه لدين الله عزوجل ، لذلك اعتبر كثير من العلماء أنّ العروبةَ اللسانُ ، وأن الكلام بغيرها – بالنسبة للمسلم – لغير حاجة يخشى أن يورث النفاق ، لحديث : « من يحسن أن يتكلم العربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق» أخرجه الحاكم في المستدرك . [١٦]

---

١٤ درس : درساً ودروساً عفا وذهب أثره .

١٥ نزهة الأولياء: ٣٣ نقلاً عن مقدمة الصحاح: ٢٣.

١٦ الحاكم. المستدرك: ٨٧/٤ من حديث عبدالله بن عمر، وفيه عمر بن هارون وهو متروك. مرجع سابق .

فاختيار الله عزوجل للعربية لغة لكتابه العزيز، ومُنزلِه الأخير يبرز فضلها ومكانتها ومقامها بين سائر اللغات ، قال تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ سورة الزخرف: آية ٣ ، وقال: ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾ سورة مريم: ٩٧، وقال: ﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ﴾ سورة فصلت : آية ٣ . إلى غير ذلك من الآيات، وبذلك أصبحت اللغة العربية بالنسبة للمسلمين هي لغتهم الأم المتبوعة وسواها لغة تابعة لا تستخدم إلا لأهليها وذويها وعند الحاجة، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة: (إذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان، من لسانه لسان النبي ﷺ ولا يجوز – والله تعالى أعلم – أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم إتباع دينه.[١٧]

حكم تعلم اللغة العربية:

وبذلك أصبحت اللغة العربية شعاراً للإسلام، وعلامة مميزة لأهل الإسلام، ولذلك اعتبر تعلمها وتعليمها فرضاً، خاصة فيما يتعلق بالعبادات، وما يرتبط بأداء الواجبات، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلموا العربية فإنها من دينكم).[١٨]

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: (فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير والتسبيح والتشهد وغير ذلك ما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها،

---

١٧ الإمام محمد بن إدريس الشافعي . الرسالة: ٤٦ ، رقم : ١٥٢ . مكتبة دار التراث القاهرة ، الطبعة الثانية سنة (١٩٧٩م)

١٨ ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٢٧ – ٥٢٨. مرجع سابق .

ويأتي البيت وما أمر بإتيانه، وبتوجهه لما وجه له، ويكون تبعاً فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعاً).[١٩]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعلوم أن تعلم العربية، وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والإقتداء بالعرب في خطابها).[٢٠]

إن التأكيد على فرضية تعلم اللغة العربية، وفرضية تعليمها، هو الذي حفظ هوية الأمة المسلمة وكيانها في الكثير من البلاد الإسلامية المستعمرة مثل الجزائر، وتونس، والمغرب، وليبيا، وغيرها، كما أنه سيحفظ لها البقاء ما دام المسلمون مهتمين بها، وحريصين على تعلمها، وتعليمها، ونشرها، باعتبارها هوية الأمة الإسلامية، ولغة دينها، ولسان ربها في القرآن الكريم مصدر هذا الدين.

وتعلم اللغة العربية منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسنده عن عمرو بن زيد قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: « أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي»،[٢١] وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال. ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله.[٢٢]

ومما يؤكد وجوب تعلم العربية وتعليمها: أن كثيراً من العبادات القولية يتوقف صحة أدائها على اللسان العربي ومن هذه العبادات:

---

١٩ الشافعي. الرسالة: ٤٨ – ٤٩ رقم: ١٦٧ – ١٦٨. مرجع سابق.

٢٠ ابن تيمية. الفتاوى الكبرى: ٢٥٢/٣٢. مرجع سابق .

٢١ البخاري. التأريخ الكبير: ١٥٧/٦.

٢٢ ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٢٧. مرجع سابق .

أ- تكبيرة الإحرام وسائر الأذكار والأدعية في الصلاة:

فجمهور الفقهاء (من المالكية، والشافعية، والحنابلة، ومن الأحناف محمد بن الحسن، وأبو يوسف) يرون عدم جواز إيقاع تكبيرة الإحرام بغير العربية مع قدرة المرء على ذلك: وكذلك سائر الأذكار، مثل: التسبيح، والتشهد، وغير ذلك. ولم يخالف في ذلك إلا الإمام أبو حنيفة الذي جوز التكبير بالفارسية مع قدرته على العربية، وقالوا: فإن لم يحسن العربية فعليه أن يتعلم، فإن اتسع الوقت للتعلم فلم يفعل وكبر بالفارسية لم تصح صلاته لأنه ترك الفرض مع القدرة.[٢٣]

ب- قراءة الفاتحة في الصلاة:

قال عامة الفقهاء (المالكية، والشافعية، والحنابلة، ومن الأحناف أبي يوسف، ومحمد بن الحسن) لا تجزأ القراءة – للفاتحة – بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ عربي، سواء أحسن قراءتها بالعربية أو لم يحسن، وقالوا: فإن لم يحسن القراءة بالعربية لزمه التعلم، فإن لم يفعل مع القدرة عليه لم تصح صلاته، وأجاز أبو حنيفة القراءة بغير العربية. واستدل الجمهور على وجوب قراءتها باللغة العربية بقوله تعالى: ﴿ قرآناً عربياً﴾ سورة الزمر: ٢٨، وقوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ سورة الشعراء: ١٩٥. ولأن القرآن معجزٌ بلفظه ومعناه، فإذا غُيّر خرج عن نظمه، فلم يكن قرآناً ولا مثله، وإنما يكون تفسيراً.

واستدل أبو حنيفة على قوله بالجواز بقوله تعالى: ﴿وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ سورة الأنعام: ١٩، قال: ولا ينذر كل قوم إلا بلسانهم .

---

٢٣ الإمام يحي بن أبي الخير العمراني البيان شرح المهذب في مذهب الإمام الشافعي: ١٦٨/٢–١٦٩، طبعة دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت سنة (٢٠٠٠م)، وابن قدامة. المغني: ١٢٩/٢–١٩٠ طبعة دار عالم الكتب الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ–١٩٩٧م) الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري. الاستذكار: ١٣٢/٤. دار قتيبة للطباعة والنشر دمشق بيروت.

والراجح قول الجمهور، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ سورة المزمل:٢. وحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٢٤] .[٢٥]

ج- التشهد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة:

قال ابن قدامة في المغني: ولا يجوز لمن قدر على العربية التشهد والصلاة على النبي ﷺ بغيرها، لما ذكر في التكبير، فإن عجز عن العربية تشهد بلسانه، كقولنا في التكبير... وقال: ومن قدر على تعلم التشهد والصلاة على النبي ﷺ لزمه ذلك، لأنه من فروض الأعيان، فلزمه كالقراءة، فإن صلى قبل تعلمه مع مكانه، لم تصح صلاته، وإن خاف فوات الوقت أو عجز عن تعلمه أتى بما يمكنه منه وأجزأه للضرورة.[٢٦]

د- خطبتي الجمعة:

وقد اشترط الفقهاء أن يأتي خطيب الجمعة بخطبته باللغة العربية، لأن النبي ﷺ والخلفاء من بعده كانوا يخطبون بالعربية، وقد قال ﷺ: «وصلوا كما رأيتموني أصلي»[٢٧] . فإن لم يوجد في القوم من يحسن الخطبة بالعربية احتمل أن يجزيهم الخطبة بالعجمية، ويجب أن يتعلم واحد منهم الخطبة بالعربية.[٢٨]

---

٢٤ الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، الحديث أخرجه الترمذي من حديث عبادة بن الصامت:٤٦/٢ من عارضة . دار الكتب العلمية بيروت .

٢٥ العمراني. البيان : ١٩٥/٢ – ١٩٦ مرجع سابق . وابن قدامة. المغني : ١٥٨/٢ – ١٥٩ . مرجع سابق .

٢٦ ابن قدامة. المغني : ٢٣٣/٢ . مرجع سابق .

٢٧ صحيح البخاري: ١٥٥/١. مرجع سابق .

٢٨ انظر العمراني. البيان: ٥٧٣/٢ . مرجع سابق .

٥- تلاوة القرآن:

تكاد كلمة الفقهاء تتفق على منع قراءة ترجمة القرآن الكريم بأي لغة كانت، فارسية، أو غيرها، وسواء أكانت هذه الترجمة في صلاة أو في غير صلاة، عدا خلافاً مضطرباً عن الإمام أبي حنيفة، وكثير من أصحابه يرى رجوعه عن هذا القول، ونقل عنه بخلاف ذلك، وبناء على ذلك فتلاوة القرآن الكريم بغير لسان العرب سواء أمكنته العربية أو عجز عنها لا يجوز، ويجب قراءة القرآن على الهيئة التي يتعلق بها الإعجاز، وقد قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ سورة يوسف: آية ٢. كما أنه لا يجوز قراءته بالمعنى، لأن جبريل عليه السلام أداه باللفظ، ولم يبح له إيحاءه بالمعنى.[٢٩]

وبعد عرض هذه الأقوال التي ألزمت القراءة في العبادات باللغة العربية، ونص العلماء على عدم صحة أدائها بغير العربية، نخرج بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم فيما يتحقق به ما فرض عليه من العبادات: "وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ".

---

٢٩ انظر الحافظ أبا زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب: ٣٧٩/٣، طبعة شركة كبار العلماء بالأزهر. الإمام مالك بن أنس الأصبحي. المدونة الكبرى : ٦٢/١ . طبعة دار صادر عن مطبعة السعادة بمصر ، العلامة محمد بن عرفة الدسوقي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ٢٣٢/١ – ٢٣٦ . المكتبة التجارية الكبرى ، توزيع دار الفكر بيروت ، وابن قدامة. المغني : ٥٢٦/١ ، مرجع سابق . العلامة أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، شرح المنهاج : ٢٥٤/٣ . منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت .

المبحث الثالث
اللغات غير العربية تعلماً وتعليماً وتخاطباً

المقصود باللغات غير العربية:

اللغات غير العربية: هي كل اللغات العجمية المباينة للفظ العربية نطقاً، ومعناً، ومدلولاً، والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿ لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ سورة النحل: آية ١٠٣ .

فهي اللغات التي يطلق عليها عند العرب لغة العجم، وهم الذين لا ينطقون اللسان العربي، وهذه اللغات هي التي سنتناولها في بحثنا هذا من حيث الحكم الشرعي لتعلمها، وتعليمها، ومداولتها بالنسبة للمسلم، عربياً كان أو عجمياً، باعتبار أن اللغة العربية هي اللغة المعتبرة عند المسلم ديناً، والتي يجب عليه تعلمها والتكلم بها إلا من لم يستطع، أو ألزمته الحاجة إلى سواها، ولو كانت لغته التي نشأ عليها في قومه وأمته.

فاللغة العربية – لغة القرآن – دون غيرها من لغات الدنيا، مشبعة بالمعاني والدلالات الشرعية التي تؤكد على شمولية الإسلام وتنظيمه لجميع شئون الحياة، وأي عزل لها عن الحياة أو فصلها عن الحياة وحصرها في العبادة، وقصرها على رجال الدين أو على علمائه، يجعل التدين غير مستقيم، والفهم للدين على حقيقته غير سليم.

أنواع اللغات:

وهي نوعان: أحدهما: لغات أثرت فيها اللغة العربية من حيث النطق، والكتابة، بحروف اللغة العربية، مع بقاء معانيها ومدلولاتها بحسب المدلول العجمي، وذلك مثل اللغات التي دخل الإسلام بلدانها، وتحولت حروفها المكتوبة بها إلى حروف عربية، وبها كتبت العلوم الإسلامية بلغة أهلها، مثل: التركية، والفارسية، والأردية، والجاوية، وغيرها من المجموعات اللغوية التي تحمل ثقافة الإسلام وحضارته ودونتها، وحفظتها، وتتداولها وتتخاطب بها أمم إسلامية غير عربية ، وهذا النوع من اللغات وإن كان يطلق عليها لغات أعجمية ، إلا أنها

كانت بتأثير اللغة العربية عليها بالحروف وبكثير من الألفاظ والجمل وترجمة العلوم الإسلامية العربية إليها وكتبت بها علوم الإسلام، فقد أعطاها هذا التأثير شيئاً من الاحترام والتقدير في نفوس المسلمين، والرضا عنها، واعتبارها من لغات المسلمين .

النوع الثاني : لغات باينت اللغة العربية – لغة الإسلام – حرفاً، ولفظاً، ومعنىً، وتداولتها الأمم غير الإسلامية، وكان التأثير للسان العربي عليها قليل من حيث احتفاظها بحروفها وألفاظها ، ومدلولاتها . وهي لغة المستعمر التي حملت حضارة مباينة لحضارة الإسلام مثل اللغات اللاتينية: الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والروسية، واليابانية، وغيرها من اللغات المتفرعة عنها، وأصبحت لغة حية مفروضة عالمياً من قبل المستعمر، وقد فرضت نفسها باعتبارها لغة الثقافة والعلم المعاصر، ولغة التكنولوجيا المفروضة على الأمم في المجال الثقافي والسياسي، والاقتصادي، والعسكري، وغير ذلك.

فهذه اللغة بتنوعها تكون لقوم لغة أم، باعتبارها لغة الوطن والخطاب، والتعلم، والمعاملات.

وقد تكون لغة أخرى بجانب كونها لغة أماً، فهي غازية أو وافدة على بلد ما، أو شعب ما بما اكتسبته من مقومات أتاح لها هذا الغزو أو الوفادة كالاستعمار، أو كونها لغة ثقافة أو تجارة، أو صناعة أو تعليم، أو سياسة أو نحو ذلك كما هو الحال في كثير من اللغات اللاتينية: كالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والروسية، والصينية، واليابانية، وغيرها.

ومما لا شك فيه أن اللغة الأم بالنسبة لكل إنسان تعتبر لغته التي لا يستطيع تجاوزها، ولا التخاطب إلا بها ولا التعلم والتعليم إلا في رحابها ، إلى غير ذلك مما لا يستطيع الانفكاك عنها، وهذه اللغة تعد بالنسبة للمسلم هي لغته التي لا يطلب منه شرعاً تركها وعدم التخاطب بها، والتعامل معها ، بدليل عدم طلب الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من كل من أسلم التخلي عنها، ولا الشعوب التي

فتحها الإسلام أن يتخلوا عن لغتهم التي كانوا يتخاطبون بها ، ولا أن يتعلموها: كالفارسية، والرومية، والتركية، والفينقية، وغيرها ، وإنما كل ما طلبه منهم وأوجبه على المسلمين الذين ليست لغتهم العربية أن يتعلموا اللغة العربية بجانب لغتهم الأصلية، أو على الأقل أن يتعلموا من العربية ما يساعدهم على أداء الفرائض والواجبات المناطة بهم، والتي لا يتم أداؤها إلا باللغة العربية قولاً، ومخاطبة، كالقرآن، والسنة، وأحكام الشريعة، وغير ذلك .

ومما يؤيد ذلك كون تعدد اللغات واختلافها من خلق الله عز وجل، ومحل منته على عباده، وآية من آياته لقوله جل وعلا: ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ الروم: ٢٢ . وما من رسول إلا ويرسل بلغة قومه، وهذا يؤكد تقرير كل أهل لغة على لغتهم قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ سورة إبراهيم: آية ٤.

قال الحافظ ابن حجر: (وفي ذلك إشارة إلى أن النبي ﷺ كان يعرف الألسنة لأنه أرسل إلى الأمم كلها على اختلاف ألسنتهم، فجميع الأمم قومه بالنسبة لرسالته، فاقتضى أن يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه).[٣٠]

ونستأنس لهذا القول بقوله ﷺ: «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه».

وفي شرح الشفاء للخفاجي: أنه ﷺ علمه الله جميع اللغات.[٣١]

فيؤخذ من هذا أنه ينبغي للداعية للإسلام والتبليغ به في غير البلاد العربية: أن يتعلم لغات أولئك القوم حتى يستطيع مخاطبتهم بالإسلام وإقامة الحجة عليهم بالبيان.

تكلم المسلم بغير لغته ومخاطبته بها:

---

٣٠ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٨٤/٦ . المكتبة السلفية

٣١ العلامة علي القاري. شرح الشفاء، وانظر شرح الشفاء للملا علي الفارين، دار السعادة وطبعه بسنده طبع أولمنشدر سنة (١٣٠٩هـ) .

إن المطلع على سنة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة لا يجد ما يمنع المسلم من أن يتكلم بغير لغته ، ويخاطب الآخرين بلغتهم في أي نوع من أنواع المعاملات ، بل نجد في السنة أن الرسول ﷺ تكلم بغير اللغة العربية، وخاطب الآخرين بها، وهو ما يدل دلالة واضحة على مشروعية التكلم، ومخاطبة الآخرين بلغاتهم، لمن يجيدها .

وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه بقوله: (باب من تكلم بالفارسية والرطانة) ويريد بالرطانة لغة العجم، وقد أورد تحت هذا العنوان آيتين مستدلاً بهما على جواز ذلك، وثلاثة أحاديث فيها كلام لرسول الله ﷺ بغير اللغة العربية.

فأما الآيتان فقوله تعالى : ﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ سورة الروم : آية ٢٢ ، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ إبراهيم : آية ٤.

وأما الأحاديث: فحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفيه: « ... فصاح النبي ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحي هلا بكم» [٣٢] قال الطبري: السور بغير همز: الصنيع من الطعام الذي يدعى إليه، وقيل الطعام مطلقاً، وهو بالفارسية، وقيل بالحبشية، وبالهمز: بقية الشيء – يعني سؤراً – والأول هو المراد هنا، قال الإسماعيلي السور كلمة بالفارسية من أتى دعوة.[٣٣]

والحديث الثاني: حديث أم خالد بنت سعيد قالت : « أتيت النبي ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ : « سَنَه سَنَه . قال عبدالله – يعني ابن المبارك – وهي بالحبشية: حسنة ... الحديث».[٣٤]

والحديث الثالث: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ تمرة من تمر الصدقة، فقال له النبي ﷺ بالفارسية: « كخ، كخ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة».[٣٥] وكخ كلمة زجر للصبي عما يريد فعله.

---

٣٢ صحيح البخاري رقم : ٣٠٧١ . مرجع سابق .

٣٣ ابن حجر. فتح الباري : ١٨٤/٦ . مرجع سابق.

٣٤ صحيح البخاري رقم : ٣٠٧١ . مرجع سابق .

قال الحافظ بن حجر وأشار المصنف – يعني البخاري – إلى ضعف ما ورد من الأحاديث الواردة في كراهة الكلام بالفارسية كحديث : « كلام أهل النار بالفارسية »[٣٦] وكحديث : « من تكلم بالفارسية زادت في خبثه ونقصت من مروءته» أخرجه الحاكم في المستدرك[٣٧] وسنده واهٍ . وأخرج فيه عن ابن عمر رضي الله عنه رفعه: «من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق»[٣٨] الحديث وسنده واهٍ ، وفي صبح الأعشى صفحة: (١٦٥) نقلاً عن محمد بن عمر المدائني قيل أنه ﷺ كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً ، لأن الله بعثه إلى الناس كافة ، ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً إلى قوم لا يفهم عنهم ، ولذلك تكلم مع سلمان بالفارسية ، وساق بسنده إلى عكرمة . قال: « سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل تكلم رسول الله ﷺ بالفارسية قال نعم ، دخل عليه سلمان فقال : درسته وسادته» قال محمد بن أميل: أظنه مرحباً وأهلاً ، وحسنه.[٣٩] وفي طبقات بن سعد أن رسول الله ﷺ بعث ستة نفر في يوم واحد إلى الملوك ، وأصبح كل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم ، وكان ذلك في المحرم سنة سبع.[٤٠] وكان من هؤلاء النفر الستة من أرسل إلى النجاشي ، وكسرى ، وقيصر ، والمقوقس. وهم يتكلمون بغير لسان العربية .

وذكر الشيخ عبدالحق الكتاني: أن صاحب القاموس: أنكر ذلك في سفر السعادة ، فرد عليه محمد بن محمد البخاري النابلسي الأثري ، وقال : الصواب ثبوت كلامه ﷺ بالفارسية ، وألف في ذلك كراسين في الرد على صاحب

---

٣٥ صحيح البخاري رقم : ٣٠٧٥ . مرجع سابق .

٣٦ الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك: ٨٧/٤ من حديث ابن عمر. مرجع سابق .

٣٧ مستدرك الحاكم: ٨٨/٤ من حديث أنس بن مالك. مرجع سابق .

٣٨ الحديث في الجامع الصغير للسيوطي: ١٦١ من حديث ابن عمر وصححه ولم يقره على ذلك الألباني.

٣٩ العلامة الشيخ عبدالحي الكتاني. الكتاني: التراتيب الإدارية: ٢٠٩/١ . دار الكتاب العربي بيروت لبنان

٤٠ العلامة محمد بن سعد . طبقات بن سعد : ٢٥٨/١ . طبعة دار صادر بيروت

القاموس [٤١]. كما ألف العلامة المحدث أبو عبدالله بن جعفر الكتاني كتاباً سماه : " المطالب العزيزة في تكلمه عليه السلام بغير اللغة العربية " [٤٢]

ولم يقف هذا الأمر عند ما ثبت عن رسول الله ﷺ، بل نجد كثيراً من الصحابة مارس المخاطبة لغير العرب بغير العربية من لسانهم، مثل زيد بن ثابت رضي الله عنه، وعبدالله بن الزبير، الذي ذكر عنه الكتاني نقلاً عن "مرآة الزمان" للسبط ابن الجوزي وفيه، قال: قال هشام ابن عروة بن الزبير: كان له مائة غلام، كل غلام يتكلم بلغة، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد بلغته. اهـ. وفي تأريخ الخلفاء للإمام السيوطي مثل هذا برواية عمر بن قيس وقفت عليه. [٤٣]

فهذه الآثار والأدلة التاريخية دلالة صريحة وواضحة على جواز التكلم والمخاطبة للآخرين بغير اللغة العربية ، إلا أن كثيراً من العلماء قيدها بالحاجة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات، وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة)، كما نص على ذلك مالك، والشافعي، وأحمد. بل قال مالك : (من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه) ، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها ، ولكن شرعوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة. [٤٤] وقال في موضع آخر: وأما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس مكروهاً، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم، والفرس، والترك، بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة.

---

٤١ الكتاني. التراتيب الإدارية: ٢٠٩/١ – ٢١٠ . مرجع سابق .

٤٢ نفس المرجع: ٢٠٧/١ – ٢٠٨ .

٤٣ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي . انظر السيوطي. تاريخ الخلفاء: ٢١٣ تحقيق محي الدين محمد عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى بمصر من دار السعادة بمصر سنة (١٩٥٩م)

٤٤ فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية : ٢٥٥/٣٢ ، والحديث أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٤١١/١ رقم: ١٦٠٩ ، منشورات المجلس العلمي (١٣٩٢م – ١٩٧٢م) ، والسنن الكبرى للبيهقي: ٢٣٤/٩ ، دار الفكر بيروت .

وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه، واستدل بقول الرسول ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص: «يا أم خالد هذا سنا» والسنا بلسان الحبشة الحسن.[٤٥]

وأما كراهة الإمام مالك للتكلم بلسان العجم مستدلاً على ذلك بنهي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رطانة الأعاجم، أي تكلمهم بلسانهم ، وهو مروي عن سفيان الثوري.

عن ثور بن يزيد عن عطاء عن دينار قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخط ينزل عليهم».[٤٦] فقد قال ابن يونس وهو من أصحاب مالك: فقيل معنى النهي عن ذلك أنهم يتكلمون بها في المساجد، وقيل معنى النهي أنهم إذا تكلموا بها بحضرة من لا يفهمها فيكون من تناجي الاثنين دون واحد، وقد كره ذلك. قال الشيخ أبو الحسن عليها: والتأويل الآخر أسَدُّ، وأما الأول فلماذا كرهه – يعني مالك – لأنها من اللغو الذي تنزه المساجد عنه. انتهى. وكأنه توقف في ذلك. وقال في التوضيح: إنما كرهها في المساجد لأن مالكاً كره أن يتكلم في المساجد بألسنة العجم وإليه ذهب ابن يونس.[٤٧]

قلت: إن القول بكراهة التكلم بغير العربية سواء في المسجد أو في غيره إلا لحاجة يحتاج إلى دليل قوي، وليس هناك دليل من السنة على ذلك، بل السنة تثبت غير ذلك كما عرفنا، اللهم إلا أن يكون المتكلم باللغات غير العربية معجباً بها، مع ازدرائه للغته، وآدابها، وعلومها، فهذا هو الذي يحمل عليه قول عمر رضي الله عنه، ولا سيما وأن لغات العجم صارت اليوم مفتاحاً لكثير من العلوم الكونية التي أصبحت ضرورية لمجاراة العجم، والترقي بين الأمم، وصارت أيضاً مفتاحاً للتعارف الذي أصبح ضرورياً للعيش، وأمن الإنسان على

---

٤٥ فتاوى ابن تيمية : ٣٠٦/٣ . مرجع سابق .

٤٦ فتاوى ابن تيمية : ٣٢٥/٢٥ . مرجع سابق .

٤٧ الكتاني. التراتيب الإدارية : ٢٧٦/١ . مرجع سابق .

حقوقه حين الاختلاط. وأصبحت لغة لكثير من التعاملات التجارية، والاقتصادية، والتخاطب السياسي، والإعلامي، في كثير من البلدان والشعوب، كما أنها أصبحت لغة رسمية مفروضة على كثير من الشعوب والأمم، لذلك قد يكون التخاطب بها ضرورة في بعض الأماكن، وعدم مخاطبة الناس بها مضرة.

ويدخل في الكراهة أيضاً الاعتياد على الخطاب بها مقدماً لها على اللغة العربية لمن يحسنها، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه. فهنا لا شك أنه مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه، ولهذا فإن المسلمين الأوائل لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها الرومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية، علموا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم [٤٨]

تعلم المسلم غير لغته:

عرفنا في المبحث السابق أن تكلم المسلم بغير العربية، أو أي لغة غير لغته مشروع وجائز، خاصة إذا كانت له حاجة إلى ذلك ، وهنا نريد أن نستجلي الحكم حول تعلم هذه اللغات، وهل ينطبق على هذا التعلم الأحكام الخمسة: الوجوب، والاستحباب، والجواز، والكراهة، والحرام أو لا؟ فهذا ما سيجيب عنه البحث.

فتعلم المسلم أي لغة يحتاج إليها في أمر دينه أو دنياه مشروع، كما شرع له التخاطب والتكلم بها كما مضى عرض الأدلة على ذلك، خاصة عندما تكون الحاجة إلى ذلك قائمة، وأصحاب تلك اللغات عندهم علم يُؤخذ، أو حكمة تفسر، فلا سبيل إلى الانتفاع بما عند الغير إذا جهلت لغته، ولم يمنع الإسلام من

٤٨ اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٢٦. مرجع سابق .

تعلم لغات الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر دعوته في العالم، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها أخذ بها».[٤٩]

وذلك لأن رسالته ﷺ عالمية، فهو وإن كان عربياً ، والكتاب المنزل عليه عربي ، وقد أرسله الله بلسان قومه ليبين لهم – قد بعث للناس كافة ﴿ ليكون للعالمين نذيراً ﴾ الفرقان : ١ ، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء : ١٠٧ ، ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ الأعراف : ١٥٨ . فلا بد من ترجمة بينه وبين أرباب اللغات الأخرى حتى يمكنه تبليغ الدعوة إليهم، وتلقي الإجابة منهم – وقد كان عنده ﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية، والرومية، والحبشية، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التي يكتب بها يهود، فأمر بذلك كاتب وحيه الأنصاري زيد بن ثابت رضي الله عنه ليتقنها قراءة وكتابة، ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك.[٥٠]

روى خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما: « أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ كتبه وأقرأُ له إذا كتبوا إليه» رواه البخاري معلقاً.[٥١]

وفي سنن أبي داود وجامع الترمذي عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: « إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية، أو قال السريانية فقلت: نعم ، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة » وقال

---

٤٩ جامع الترمذي: ١٥٩/١٠، من عارضة الأحوذي. وسنن ابن ماجة: ١٣٩٥/٢ رقم:٤١٦٩ ، دار إحياء الكتب العربية. والحديث كما قال الترمذي غريب. مراجع سابقة .

٥٠ القرضاوي. الرسول والعلم : ٤٢ .

٥١ صحح البخاري رقم : ٧١٩٥ . مرجع سابق .

الترمذي حسن صحيح [٥٢] وفي رواية أبي يعلى: « إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي وينقصوا ، فتعلم السريانية » كما رواه ابن سعد وغيره.[٥٣]

وفي مسند أحمد رفعه: « يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي»، [٥٤]وذكر ابن عساكر بسنده قال: « كان زيد بن ثابت يتعلم في مدارس مكة فتعلم كتبهم – يعني يهود – في خمس عشرة ليلة حتى كان يعلم ما حرفوا وبدلوا ».[٥٥]

فهذه الأحاديث كلها تدل على جواز تعلم اللغات غير العربية لحاجة، قال الكتاني: وفي الجزء الثالث من صبح الأعشى : ينبغي للكاتب أن يتعلم لغة من يحتاج إلى مخاطبته أو مكاتبته من اللغات غير العربية ، فكذلك ينبغي أن يتعلم من الخطوط غير العربية ما يحتاج إليه من ذلك فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة : إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط الأعجمية، ويؤيد ذلك ما تقدم من الكلام على اللغة: أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود من السريانية أو العبرانية ، وكان يقرأ على النبي ﷺ كتبهم ويجيبهم عنه .[٥٦]

ولهذه الأمور التي تبرر الاحتياج إلى تعلم اللغات الأجنبية وللأدلة الصريحة على ذلك فإن جمهور الفقهاء يرون مشروعية تعلم غير العربية، بل بعضهم قد يرى الوجوب عند وجود المقتضى.

والخلاصة: أن تعلم المسلم غير لغته مشروع، وقد تجري عليه الأحكام الخمسة، فقد يكون التعلم واجباً لهذه اللغة، وذلك عندما يكون التخوف من

---

٥٢ سنن أبي داود في كتاب المصاحف ، وجامع الترمذي في كتاب الأدب : ١٨٢/١٠ من عارضة الأحوذي . مرجعان سابقان .

٥٣ انظر ابن حجر. فتح الباري : ١٨٦/٦ . مرجع سابق .

٥٤ الكتاني. التراتيب الإدارية : ٢٠٤/١، ومسند أحمد: ٤٩٠/٣٥ رقم: ٢١٦١٨ . مرجعان سابقان .

٥٥ مسند أحمد : ٤٩٠/٣٥ رقم: ٢١٦١٨ . مرجع سابق .

٥٦ الكتاني. التراتيب الإدارية : ٢٠٥/١ . مرجع سابق .

العدو قائماً ولغته لا تعرف وللتوقي من شره ، وعندما يكون المقتضى لتعلمها أمراً واجباً لأن: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" ، مثل ترجمان القاضي ، أو في الحروب وغير ذلك ، وقد يكون التعلم مستحباً وذلك للاستعانة بها على أخذ العلوم ، أو للدعوة إلى الله ، وقد يكون جائزاً كتعلمها لتحقيق التعامل بها في سائر أنواع المعاملات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية .

كما أنه قد تكون حراماً: عندما يتعالى بها على لغة القرآن اللغة العربية، ويعتز بها أكثر من اعتزازه بلغة الإسلام. كما مر بيان ذلك.

المبحث الرابع
في ترجمة اللغات ومشروعيتها

المقصود بترجمة اللغات:

الترجمة تعني لغة: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قوله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » أو تفسير الكلام بلغة غير لغته يقال : ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر ، أو نقل الكلام من لغته إلى أخرى ، ومنه الترجمان وهو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده.[٥٧]

وهذا المعنى الأخير هو الذي عني به عرفاً، وتواضع عليه الناس وتعارفوا عليه.

وهذه الترجمة العرفية تنقسم إلى قسمين: ترجمة حرفية وهي التي تراعي فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، وتسمى أيضاً الترجمة اللفظية والترجمة المساوية.

والترجمة التفسيرية: هي التي لا يراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة، وتسمي أيضاً الترجمة المعنوية.

مشروعية القيام بالترجمة :

وكل هذه الأقسام والأنواع من الترجمات مشروع استعمالها في كلام الناس، وكتبهم، ورسائلهم، ومخاطبتهم، بل قد تكون في بعض حالاتها سنة ، وأخرى واجبة لأن الإختلاط بالناس تقتضيه ، وتبادل المنافع والحاجيات تستدعيه ، كما أن تبليغ الدين وتفسير نصوصه وبيان أحكامه تستوجبه ، ونقلها للعلوم الكونية ، والإنسانية إلى الأمم والشعوب تطلبه .

وقد برهن على ذلك قبل هذا كله عمل الرسول ﷺ، وأمره، وسكوته كما جرى على ذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من ولاة المسلمين، وعلمائهم، ودعاتهم، على مدار العصور. وأفتى الفقهاء بمختلف مدارسهم ومذاهبهم بجوازه كما سنبينه، بل أفتوا بوجوبه في بعض الحالات والمقتضيات، وأكد على

---

٥٧ انظر النهاية في غريب الحديث: ١٨٦/١ ، والمعجم الوسيط: ٨٣،وتهذيب الأسماء واللغات: ٤١/٢.

ضرورة الاهتمام به في عصرنا هذا تداخل اللغات واللهجات بإجتماع أهلها في كثير من المدن والشعوب، وتمازجت مع العلوم والصناعات، واستدعتها كثير من قضايا السياسات، وألحت عليها مجالس القضاء، وأصبحت ضرورة لكثير من التعاملات في العقود والمعاملات، لاسيما وقد أصبح العالم يمثل أسرة واحدة مما زاد في الحاجة الملحة إلى ذلك أكثر من سابق الأزمان.

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه بقوله : " باب ترجمة الحكام ، وهل يجوز ترجمان واحد " وذكر تحت هذه الترجمة حديث زيد بن ثابت وأمره ﷺ له بتعلم كتاب يهود لكي يقدر على ترجمة ما يكتبونه إليه، وترجمة ما يكتبه إليهم، وبالتالي فيكون الرسول ﷺ قد اتخذ لنفسه ترجماناً وهو زيد بن ثابت ، كما سبق ذكره .

وقد ذكر ابن عبد ربه في كتابة العقد الفريد عن زيد بن ثابت: أنه تعلم الفارسية من رسول كسرى، والرومية من حاجب النبي ﷺ، والحبشية من خادم النبي ﷺ، والقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام[٥٨]، وقد كان زيد يكتب للملوك مع ما كان يكتبه من الوحي.

وممن كان يكتب للملوك أيضاً عبدالله بن أبي الأرقم . ذكر هذا التلمساني في العدة ، وابن هشام في البهجة ، وابن عبدالسلام في التعريف برجال مختصر ابن الحاجب كما في التراتيب الإدارية .[٥٩]

وفي صحيح البخاري وقال عمر: وعنده علي وعبد الرحمن وعثمان – ماذا تقول هذه – يعني المرأة التي وجدت حبلى – قال عبدالرحمن بن حاطب فقلت تخبرك بصاحبها الذي صنع بها.

وقال أبو جمرة : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس .

---

٥٨ العلامة أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي . العقد الفريد : ١٦١/٤ . طبعة دار الكتاب العربي بيروت (١٩٨٣م)

٥٩ الكتاني. التراتيب الإدارية : ٢٠٢/١ . مرجع سابق .

قال الحافظ بن حجر معلقاً على ذلك: والذي يظهر لي أن مستند البخاري تقرير ابن عباس، وهو من الأئمة الذين يقتدى بهم على ذلك. ومن ثم احتج باكتفائه بترجمة أبي حمزة له، فالأثران راجعان لابن عباس، أحدهما: من تصرفه، والآخر: من تقريره، وإذا انضم إلى ذلك فعل عمر ومن معه من الصحابة ، ولم ينقل عن غيرهم خلافه، قويت الحجة .[٦٠]

فهذه الأدلة كلها تدل على مشروعية التعلم للغات غير العربية واللغات الأجنبية والقيام بترجمتها ، وترجمة الكتب المكتوبة بها، كما سيأتي مزيد إيضاح لذلك ، لما في ذلك من المنافع وسد الحاجات والتي منها :

ما يحتاجه الإمام – رئيس الدولة – كحال زيد بن ثابت الذي أمره الرسول ﷺ أن يتعلم ليقوم بهذه المهمة .

أو حاجة القاضي للفصل بين الخصومات لذوي اللغات المختلفة ، وإثبات الحقوق عندما يكون الخصوم أو بعضهم ليسوا ممن يتكلم العربية .

أو العاشر – المسئول عن الجمارك – الذي يتولى جباية الجمارك من التجار ، أو لما يحتاج إليه من فكاك الأسير ، أو ما يحتاجه المسلمون مع من يحاربونهم إذا خاطبوهم بما يفيد الاستسلام أو للدخول في الإسلام .

ومما يدل على الأخير ترجمة الإمام البخاري بقوله : (باب إذا قالوا صبئنا ولم يحسنوا أسلمنا) وذكر قول عمر : « إذا قال : مترس فقد آمنه إن الله يعلم الألسنة كلها » ومترس كلمة فارسية معناها: لا تخف.[٦١]

الترجمة ضرورة لتبادل العلوم والاستفادة من الحضارات :

وإذا أمعنا النظر في طريقة الصحابة لنشر دعوة الإسلام في الأمم الأعجمية بمختلف لغاتها ولهجاتها نجد: أنهم استخدموا من الأسلوب والطريقة ما جعل المدعوين يستجيبون للإسلام، ويسرعون في فهم تعاليمه وأحكامه، واستيعاب

---

٦٠ ابن حجر. فتح الباري : ١٣/١٨٨ . مرجع سابق .

٦١ صحيح البخاري : ٦/٢٧٤ – ٢٧٥ ، من فتح الباري . مرجع سابق .

لغته والتعامل معه في زمن قصير. وما ذلك إلا لما كان يمتلكه الصحابي من قدرات في توصيل تعاليم الإسلام باللغة التي تفهم عنه سريعاً.

كما أننا إذا استعرضنا تاريخ الأمة الإسلامية، وبالأخص تاريخ خلفائها وملوكها، نجد أنهم ما استطاعوا أن يستفيدوا مما عند الآخرين من الأمم المتحضرة في أمور الدنيا إلا بعد أن أذنوا أو أمروا بترجمة ما عند الأمم الأعجمية، كالفرس، والروم، والهند، وغيرهم، من علوم مدونة في مكتباتهم بلغاتهم إلى اللغة العربية، كما أن هذا يدل على أنه كان عندهم من المترجمين العدد الكثير.

بل إن بلاد أوربا لم تستطع أن تستفيد من حضارة المسلمين وتقدمهم في المجال العلمي إلا بعد أن ترجموا علومهم من العربية إلى لغاتهم الأوربية المختلفة .

ومن شواهد الترجمة للغات غير العربية وتعامل المسلمين بها فيما بينهم خطاباً ومخاطبة وتعاملاً حتى على المستوى الرسمي نظام الدواوين .

وأصل الديوان بالفارسية الدفتر والسجل [٦٢] ، فلفظه فارسي ، ونظامه مكتوب باللغة الفارسية ، ومع ذلك فقد اعتمده الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعرب ألفاظها . وقد كان الديوان في الإسلام منه المركزي وهو الذي أنشأه العرب المسلمون أنفسهم بالعربية على الصعيد العربي فكان كل ما فيه عربياً محضاً.

ومنه المحلي الإقليمي الذي وجده العرب المسلمون في البلدان المفتوحة، فرأوا من الحكمة أن يقروا أهلها عليها حتى لا يفاجئوهم بجديد ولا يضطرب عليهم الأمر، كما كانت الحال في بلاد العراق وإيران، فقد كانت الدواوين فيها فارسية، أما الشام فكانت دواوينها رومية أي بيزنطية وفي مصر كانت الدواوين قبطية. ولم تعرب هذه الدواوين إلا في عهد عبدالملك بن مروان، وولديه، وهشام، من الخلفاء الأمويين، حيث أمست اللغة الرسمية في السياسة

---

٦٢ المعجم الوسيط : ٣٠٥ .

والإدارة هي العربية، بعد أن نقلت إليها أدق المصطلحات الفارسية واليونانية في الحساب، والفنون المعروفة في تلك العصور.[٦٣]

وقد تنوعت الدواوين فكان منها ديوان الرسائل وهو الدائرة الرسمية التي كانت تشرف على مراسلات الخليفة في أول الأمر مع الولايات والأمصار ، وفي بعض الأحيان مع الدول الأخرى التي تفاوض في بعض الشئون ذات الصبغة السياسية تارة والاقتصادية تارة أخرى.[٦٤]

وفي هذا الديوان كانت الترجمة قائمة على قدم وساق لما يرد ويصدر لتنوع الرسائل باللغات المختلفة، وقد توسعت دائرة الدواوين في العهد العباسي وأبرز ما أحدث فيه أنها جمعت في دفاتر أو سجلات بدلاً من أن تكون صحفاً مبعثرة، وأدخل عليها التنظيم باللغة العربية.

وقد ظهرت في العهود الأموية والعباسية طبقة الكتاب، والتي كان لها أصل في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، لكنها في العهد الأموي والعباسي توسعت أكثر لاتساع دولة الإسلام واتساع الفتوح الإسلامية وتنوع اللغات، مما دعت الحاجة إلى التوسع في هذه الوظيفة، وأنيطت بها أعمال ومهام ، وتعدد كتابها ، حيث كان هناك كاتب للرسائل، وكاتب للخراج، وكاتب للجند، وكاتب للشرطة، وكاتب للقضاء، وكان أعظمهم نفوذاً، كاتب الرسائل لأنه كان مؤتمناً على شئون الدولة وأسرارها، ولذلك كان يستحسن أن يكون ممن يحسن اللغات، ولذلك أطلق عليهم تراجمة الملوك في عصر الأكاسرة الفارسيين .[٦٥]

---

٦٣ د. صبحي الصالح. انظر النظم الإسلامية نشأتها وتطورها: ٣١٢ – ٣١٣. دار العلم للملايين بيروت سنة (١٩٦٥م)

٦٤ المرجع السابق : ٣١٤ .

٦٥ المرجع السابق : ٣٠٥ .

وقد كان في بداية الأمر يتولى هذه الوظيفة مسلمون غير عرب ، وأهل الذمة، فلما قام عبد الملك بتحويل الدواوين إلى العربية تقلص نفوذ هؤلاء بعد أن انتقل هذا المنصب إلى أيدي المسلمين من العرب [٦٦] .

ولم يقف التعريب عند هذا الحد بل إن عبد الملك عرب: الطراز، والعملة، وقد حصل بسببها نزاع شديد بين إمبراطور الروم والخليفة عبد الملك بن مروان، حيث استنكر الأول التعريب والآخر لم يبال به، واستمر على القيام بهذا التعريب لكل ما ليس بعربي في جميع أنظمة الدولة. [٦٧]

ومع ذلك فقد استعملت بعض الأقاليم أكثر من لغة كما هو الحال في مصر التي كانت اللغة اليونانية سائدة إلى جانب العربية تدون بها الدواوين الحكومية، بل وفي بعضها كانت تدون باللغة القبطية إلى جانب اليونانية والعربية . [٦٨]

ترجمة العلوم العقلية:

أول من عنى بنقل علوم الطب والكيمياء من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية خالد بن يزيد بن معاوية، حيث دعا جماعة من اليونانيين المعلمين في مصر، وطلب منهم أن ينقلوا له كثيراً من الكتب اليونانية، والقبطية، التي تناولت البحث في صناعة الكيمياء العملية، وعمل على الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء. [٦٩]

وفي العهد العباسي كانت العناية أكثر حيث عني أبو جعفر المنصور بترجمة الكتب ونقل له حنين بن اسحاق بعض كتب ابقر وجالينوس في الطب ، كما

---

٦٦ الدكتور حسن ابراهيم حسن. تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٤٤٨/١. مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

٦٧ المرجع السابق : ٤٤٩/١ .

٦٨ المرجع السابق : ٤٥١/١ .

٦٩ حسن إبراهيم. تأريخ الإسلام: ٣٤٥/٢. وكتاب أوراق البردي العربية: ٢٨/١. ترجمة حسن إبراهيم.

نقل ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية ، وترجم كتاب (السند هند) وكتاب إقليدس في الهندسة إلى العربية.

وقد زادت العناية بترجمة الكتب في عهد هارون الرشيد بعد أن وقع تحت سلطانه بعض المدن الرومية الكبرى، فأمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان، كما نشطت حركة الترجمة بفضل تشجيع البرامكة للمترجمين، وإدرار الأرزاق عليهم.

وفي عهد المأمون قويت حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية، وخاصة من اليونانية والفارسية إلى العربية ، فأرسلت البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة، والهندسة والموسيقى، والطب .

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على المأمون بل عني جماعة من ذوي اليسار في عهده بنقل كثير من الكتب إلى العربية، ويعقوب الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرجان الطبري .

كما أن العباسين ترجموا ما وصل إليه اليونان والفرس وغيرهم من العلوم: كالفلسفة، والطب، والنجوم، والرياضيات، والموسيقى، والمنطق، والفلك، والجغرافيا، والتاريخ، والحكم، والآداب، والسير.[٧٠]

ومما تميز به المسلمون عندما تشوفوا إلى علوم الأمم الأعجمية ونقلوها بالترجمة إلى علومهم بقيت تلك الدفاتر التي باللغة الأعجمية نسياً منسياً، وأصبحت العلوم كلها بلغة العرب، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن لدروسها وذهاب العناية بها.[٧١]

---

٧٠ انظر تأريخ الإسلام: ٣٤٥/٢ – ٣٤٧. مرجع سابق .

٧١ العالم مصطفى بن عبدالله المسمى حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٥٥/١. دار إحياء التراث العربي.

فوائد الترجمة لدعوة الإسلام ونشر تعاليمه:

ومما لا شك فيه أنه كان لهذه الكتب المترجمة آثار سلبية فيما يتعلق بالجوانب العقدية، ولكن تصدى لها فقهاء الإسلام وعلماؤه بالبيان، والتوضيح، والتعرية لها، وتحذير الأمة منها. ودعوة الناس إلى الاستفادة مما هو نافع وترك ما هو ضار بعقيدة الأمة وفكرها. ومن أمثال هؤلاء: الإمام الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما. مع قولهم بمشروعية الترجمة في جميع المتطلبات والمقتضيات، مخاطبة أو ممارسة لها في الدعوة والحوار، أو ترجمة الكتب، أو غير ذلك، كما سبقت الإشارة إليه .

بل نص شيخ الإسلام ابن تيمية على جواز ترجمة معاني القرآن، وترجمة الحديث لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم وترجمتها بالعربية، كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ ويكتب له ذلك حيث لم يأمن اليهود على كتابه.[٧٢]

وذكر في موضع آخر فائدة الترجمة في الدعوة إلى الله عز وجل، وفي محاجة أهل الكتاب بلغتهم، وكشف ما يقع منهم من تحريف في كتب الله عز وجل بلغتهم، والحاجة إلى ذلك، لأنه: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .[٧٣]

ولأن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدة المسلمين في تحصنهم وتسلحهم – على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم حسب توجيه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع ، وللعبد أنفع وهو الأصلح في الدنيا والآخرة .[٧٤]

---

٧٢ فتاوى ابن تيمية الكبرى : ٣٠٦/٢ . مرجع سابق .

٧٣ أنظر ابن تيمية. الفتاوى: ١٠٥/٤. مرجع سابق .

٧٤ أنظر ابن تيمية. الفتاوى: ١٠٧/٤. مرجع سابق .

ولأن مسلمة أهل الكتاب الذين علموا ما عندهم بلغتهم وترجموا لنا بالعربية، انتفع بذلك في مناظرتهم ومخاطبتهم، كما كان عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وكعب الأحبار وغيرهم، وحينئذ يستشهد بما عندهم على موافقة ما جاء به الرسول ﷺ، ويكون حجة عليهم، وعلى غيرهم من وجه آخر.[٧٥]

كزعمهم للنبي ﷺ أن الله أمرهم بتحميم الزاني دون رجمه، أمكن للنبي ﷺ والمؤمنين أن يطلبوا التوراة ومن يقرؤها بالعربية، ويترجمها من ثقات التراجمة، كعبد الله بن سلام لما قال لحبرهم: ارفع يدك عن آية الرجم فإذا هي تلوح، ورجم النبي ﷺ الشريفين منهم، بعد أن أقام عليهم الحجة من كتابهم، وذلك أنه موافق لما أنزل الله عليه من الرجم. وقال: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه.[٧٦]

وهكذا يكون شيخ الإسلام ابن تيمية قد أجاب على كثير من القضايا المتعلقة بالترجمة من حيث المشروعية، بل والوجوب أو الاستحباب متى كان المقتضى متوافراً خاصة في الدعوة إلى الله عزوجل وبيان حكم الله، وبطلان قول المحرفين لدين الله عزوجل إلى غير ذلك، وأقام على ذلك من الأدلة والشواهد من عمل الرسول ﷺ وأمره واستخدام المترجمين في الكشف عن حقائق ما هو مكتوب بغير العربية إلى غير ذلك مما يؤكد هذه الحقيقة.

القضاء والترجمة:

لم تكن الترجمة في تأريخ القضاء الإسلامي جزءاً من ديوان القضاء في أية مرحلة من مراحل الحكم الإسلامي، أو الحكم في بلاد الإسلام باستثناء الفترات التي كانت وقعت فيها بعض بلاد الإسلام تحت الاستعمار الغربي أو الحماية أو الانتداب، التي أنشأ فيها المستعمر محاكم أجنبية، أو محاكم مختلطة بلغته، ولم يكن ذلك إلا في العصور المتأخرة، وقد زال هذا الوضع زوالاً

---

٧٥ أنظر ابن تيمية. الفتاوى: ١٠٩/٤ – ١١٠. مرجع سابق.

٧٦ أنظر فتاوى ابن تيمية : ١٠٥/٤ – ١١٢ . مرجع سابق.

كلياً من جميع البلاد الإسلامية ما عدا فلسطين المحتلة، ولكن المجتمع المختلط الأعراق والأجناس الذي قام في عصر الفتوحات وبعدها – بل وفي عصرنا – أدى إلى وجود الحاجة إلى الترجمان، ووجوب توفيره للقاضي حتى يفصل بين الخصومات التي تقام لديه لمختلف الناس بمختلف لغاتهم ولهجاتهم، فتعاد الحقوق إلى ذويها، وينصف للمظلوم من الظالم.

ولذلك نجد الفقهاء في كتبهم الفقهية قد اهتموا بهذه القضية، قال السرخسي في المبسوط: وإذا اختصم إلى القاضي قوم يتكلمون بغير العربية وهو لا يفقه لغاتهم فإنه ينبغي أن يترجم عنهم له رجل مسلم ثقة.

واتخاذ الترجمان للحاجة قد كان عليه الناس في الجاهلية وبعد الإسلام، ولا خلاف في أنه يشترط في المترجم أن يكون عدلاً مسلماً، لأن نفس الخبر محتمل للصدق والكذب فإنما يترجح جانب الصدق بالعدالة.[٧٧]

وفي مجلة الأحكام العدلية مادة (١٨٢٥) يضع الحاكم في المحكمة ترجماناً موثوقاً به لترجمة كلام من لم يعرف اللسان الرسمي من الطرفين ، ويقول الإمام الماوردي في كتاب أدب القاضي ، قال الشافعي : وإذا تحاكم إليه أعجمي لا يعرف لسانه إما أن يكون الحاكم يعرف لسان الأعجمي فلا يحتاج إلى ترجمان ، وإن كان لا يعرف لسان الأعجمي احتاج إلى من يترجم للحاكم ما قال الأعجمي .[٧٨]

---

٧٧ الإمام أبي بكر محمد بن أحمد ن سهل السرخسي ، المبسوط : ٢٤٧/١ . مطبعة دار السعادة بمصر سنة (١٣٢٤هـ)

٧٨ أبي الحسن الماوردي . آداب القاضي : ١٩٥/١ . مطبعة الإرشاد بغداد سنة (١٩٧٢م).

تعدد المترجمين للقضاء:

ومع إقرار الفقهاء بوجود مترجم للقاضي، فقد اختلفوا في العدد المطلوب للترجمة.

قال ابن بطال: أجاز الأكثر مترجماً واحداً، وقال محمد بن الحسن لا بد من رجلين، أو رجل وامرأتين.

ونقل عن الكرابيسي عن مالك، والشافعي، الاكتفاء بترجمان واحد، وعن أبي حنيفة الاكتفاء بواحد، وعن أبي يوسف اثنين، وعن زفر لا يجوز أقل من اثنين.[٧٩]

ومبنى هذا الاختلاف: هل الترجمة شهادة أو خبر؟

فمذهب الشافعي أنها شهادة، ولذلك تفتقر إلى العدد، وقال أبو حنيفة: الترجمة خبر، ولذلك لا تفتقر إلى عدد، بل تقبل فيها ترجمة الواحد إذا كان عدلاً، استدلالاً بأن شرائع الدين كما قيلت عن الرسول ﷺ بخبر الواحد كانت الترجمة به أولى، وواضح أيضاً بترجمة زيد بن ثابت وحده للنبي ﷺ، وأبي حمزة لابن عباس، وأن الترجمان لا يحتاج إلى أن يقول أشهد بل يكفيه مجرد الإخبار وهو تفسير ما سمعه من الذي يترجم عنه. وأن الخلفاء الراشدين والملوك من بعدهم لم يكن لهم إلا ترجمان واحد، وقد نقل ابن التبن من رواية أبي الحكم لا يترجم إلا حر عدل، وإن أقر المترجم بشيء فأحب أن يسمع ذلك منه شاهدان ويرفعان ذلك إلى الحاكم.[٨٠]

وعن مالك روايتان، إحداهما: مثل قول أبي حنيفة، والأخرى: مثل قول الشافعي.

واستدل الشافعي بكونها شهادة أنها تثبت إقراراً يفتقر إلى الحرية والعدالة فوجب أن يفتقر إلى العدد كالشهادة، ولأنه نقل فضل إقرار لو كان في غير

---

٧٩ انظر ابن حجر. فتح الباري: ١٣/١٨٨. مرجع سابق .

٨٠ ابن حجر. فتح الباري: ٣/١٨٩. مرجع سابق .

مجلس الحكم كان شهادة تفتقر إلى عدد فواجب إذا كان مجلس الحكم، أن يكون شهادة تفتقر إلى عدد قياساً على ما لو أنكر بعد أن أقر.[٨١]

والذي أرجحه أن الترجمة إذا كانت في غير القضاء تعدّ إخباراً، والإخبار يكفي فيه واحد عدل، وإن كانت في مجلس القضاء فهي شهادة، فلا بد أن يكون اثنان أو أكثر بحسب القضية التي ترجم فيها، حتى يكون الحكم الصادر عن الحاكم صحيحاً لاشتراط العدد في الشهادة، وتنوع القضايا التي يطلب لها العدد كونه اثنين، أو أربعة، وبناء على ذلك فإذا كانت الترجمة في موضع الشهادة فلا تقبل فيها ترجمة الوالد والولد كما لا تقبل شهادتهما لبعض.

ترجمة المرأة في مجلس القضاء:

فأما المرأة فإن كانت ترجمتها مما تقبل فيه شهادة المرأة كالإقرار بأموال، سمعت ترجمة المرأة، وحكم فيها بترجمة رجل وامرأتين كالشهادة، وإن كانت فيما لا تقبل فيه شهادة المرأة كالإقرار بالحدود، والمناكح لم تسمع فيه ترجمة المرأة، ونظر فإن كانت فيما تثبت فيه بشاهدين كالشهادة على غير الزنا حكم فيه بترجمة شاهدين عدلين، وإن كانت بالزنا فقد اختلف قول الشافعي في الإقرار بالزنا على قولين، أحدهما: أنه يثبت بشاهدين بخلاف فعل الزنا، مثل هذا يحكم فيه بترجمة شاهدين. والقول الثاني: أنه لا يثبت إلا بشهادة أربعة كالزنا فعلى هذا لا يحكم فيه إلا بترجمة أربعة.

ترجمة الكتب غير العربية إلى العربية والعكس:

ترجمة كتب الله بالعربية:

إن ترجمة كتب الله عز وجل غير القرآن الكريم: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وغيرها، إذا اقتضت الحاجة إلى ترجمتها إلى أي لغة غير لغتها ليس من الممنوع، بل هو مشروع وجائز، وقد يكون مستحباً، أو واجباً في بعض الحالات والمقتضيات، سواء كانت الترجمة حرفية أو تفسيرية، وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه بقوله: (باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها

---

٨١ انظر الماوردي. آداب القاضي: ١٩٥/١، وابن حجر. فتح الباري: ١٨٨/١٣. مرجعان سابقان.

من كتب الله بالعربية وغيرها) وفي رواية الكشميهني [٨٢] : (بالعبرانية وغيرها) لقول الله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ ، ووجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية، وقد أمر الله تعالى أن تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية، ففيه الإذن في التعبير عنها بالعربية.

والحاصل أن الكتاب الذي بالعربية مثلاً يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس . وهل يعتبر الجواز بمن لا يفقد ذلك اللسان أولاً ؟ الأول قول الأكثر، قاله: الحافظ بن حجر. [٨٣]

واستدل أيضاً على مشروعية ذلك بحديث كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، وفيه أن هرقل دعا بترجمانه، ثم بكتاب النبي ﷺ، فقرأه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل . ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم...الآية ﴾ . ووجه الدلالة أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل باللسان العربي ، ولسان هرقل رومي ، ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجمه عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمان. [٨٤]

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل » [٨٥].

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما في رجم اليهوديين، وقد سبق الكلام فيه، كما سبق فيه ما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية فليرجع إليه، فعمل الرسول، وإقراره، وأمره لزيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ليقرأها ويكتب له

---

٨٢ الكشميهني : هو أبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني راوي صحيح البخاري عن الفربري وغيره، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٤٩٢/٦٦ .

٨٣ ابن حجر. فتح الباري : ٥١٦/١٣ . مرجع سابق .

٨٤ بن حجر. فتح الباري: ٥١٦/١٣. مرجع سابق .

٨٥ صحيح البخاري: ٢١٣/٨. مرجع سابق .

ويكتب لهم، مما يؤكد هذه المشروعية ويدل على جواز فعله، كما أن اهتمام الخلفاء الراشدين بذلك عندما توسعت الفتوح الإسلامية، واختلط المسلمون بأمم تلك البلدان من ذوي اللغات المختلفة، وانفتاح المسلمين على ما عندهم من علوم إنسانية مدونة في كتب، وانصراف المسلمين إلى ترجمتها، خاصة في العهد العباسي الذي نشطت فيه الترجمة لتلك الكتب، ونقلها من لغات تلك الأمم كالرومية، والفارسية، والهندية، واللاتينية، وغيرها، إلى لغة العرب، كل ذلك دليل على حسن فهم المسلمين وعلمائهم، واعتقادهم لمشروعية ذلك وجوازه.

وإنما النقد الذي حصل من علماء المسلمين ليس على الترجمة ، وإنما على ما اشتملت عليه من فلسفات وموضوعات تتنافى مع العقيدة الإسلامية ودعوتها الأخلاقية، وليس على ما فيها من علوم إنسانية ، وكونية نافعة .

ومما ذكر من ترجمة الكتب السماوية غير القرآن في تاريخ المسلمين، ما ذكره ابن النديم عن أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون الرشيد فيما وقف عليه من كتاب مترجم، قال عنه أحمد المذكور: ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف، والتوراة، والإنجيل، وكتب الأنبياء، والتلامذة من لغة العبرانية، واليونانية، والصابئة، وهي لغة أهل كل كتاب، إلى اللغة العربية حرفاً حرفاً، ولم أبتغ في تحسين الخط ولا تزيينه مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته، ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو مقدم بلغة أهل ذلك الكتاب، فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية إلا أن يؤخر ، ومنه ما هو مؤخر لا يستقيم إلا أن يقدم ليستقيم ذلك بالعربية ... إلى آخر قوله .[٨٦]

---

٨٦ ابن النديم أبو الفتح محمد بن يعقوب المعروف بالوراق . فهرست ابن النديم : ٢٦ . دار المسيرة

ترجمة القرآن الكريم:

ذكرنا في بداية الحديث عن الترجمة أنها قسمان: حرفية، وتفسيرية. فأي القسمين الممنوع في حق القرآن الكريم ؟

أ- الترجمة الحرفية:

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وقد أشتمل بلغته على التحدي الذي أعجز العرب أنفسهم – وهو نزل بلسانهم – أن يأتوا بأقصر سورة منه ، وإعجازه البلاغي وأسلوبه البياني، وسعة المعاني التي اشتملت عليها ألفاظه ، وخواص التراكيب ، وأسرار الأساليب، ولطائف المعاني، تجعل الترجمة الحرفية مستحيلة في حق القرآن الكريم ، ولهذا لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية ، فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله، المعجز بألفاظه ومعانيه، المتعبد بتلاوته ، ولا يقول أحد من الناس أن الكلمة من القرآن إذا ترجمت يقال فيها إنها كلام الله ، فإن الله لم يتكلم إلا بما تتلوه بالعربية ، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة، لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية – والذي يتعبد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه ، وترتيب كلماته ، فترجمة القرآن الحرفية على هذا مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها تخرج القرآن عن أن يكون قرآناً .[٨٧]

وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القرآن لهذا النوع من الترجمة – أي الترجمة الحرفية – وأيده على ذلك الإمام الشاطبي[٨٨] ، وقرر بأن المعاني الإجمالية يمكن ترجمتها ولكن المعاني البلاغية التي تستفاد من الاستفسارات والإشارات البيانية لا يمكن ترجمتها من لغة إلى لغة في أي كلام بليغ .[٨٩]

---

٨٧ مناع القطان . مباحث في علوم القرآن: ٣١٤. طبعة منشورات العصر الحديث ، سنة ١٩٧٣م .

٨٨ العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطي . الموافقات في أصول الشريعة : ٦٨/٢ ، دار المعرفة بيروت لبنان .

٨٩ عبد الوهاب خلاف. أصول الفقه: ٦٩. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت (١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) .

ويكاد يكون الإجماع انعقد على حرمة الترجمة الحرفية للقرآن لاستحالتها عادةً وشرعاً.

ب- الترجمة التفسيرية:

أما الترجمة التفسيرية، والتي تعني نقل التفسير أو المعنى الراجح للقرآن إلى لغة أخرى، أو تفسير القرآن بلغة أخرى، فإنه لا بأس بالترجمة من هذا النوع، فهو مشروع، وعند الحاجة والضرورة خاصة لتبليغ دين الله، وتعليم أصحاب اللسان غير العربي به، بل قد يكون هذا واجباً، وذلك لأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ برسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها، «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[٩٠]. وشروط لزوم الرسالة البلاغ – والقرآن الذي نزل بلغة العرب صار إبلاغه للأمة العربية ملزماً لها، ولكن سائر الأمم التي لا تحسن العربية، أو لا تعرفها، يتوقف إبلاغه الدعوة على ترجمتها بلسانها، وقد عرفنا أن الترجمة الحرفية للقرآن مستحيلة وغير جائزة، فلم يبق إلا أن يترجم تفسير القرآن الذي يتضمن أسس دعوته، بما يتفق مع نصوص الكتاب وصريح السنة إلى لسان كل قبيل حتى تبلغهم الدعوة وتلزمهم الحجة.[٩١]

وهذا النوع من الترجمة هو الذي أشار إليه الشاطبي رحمه الله: بأنه جائز باتفاق أهل الإسلام.[٩٢] يقول السيد علوي المالكي: أما الترجمة التفسيرية لأحكامه فجائزة اتفاقاً، بشرط التثبت في النقل، والتحري لأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السنة، فيكون تفسيراً موجزاً صحيحاً كافياً على قدر المستطاع، ويعتبر بياناً لا قرآناً، وتبليغاً لأحكامه لا معجزاً وتبياناً، وينبغي أن يكون ذلك مقروناً ببيان حكم التشريع ومقاصده، حتى يتجلى للأعجمي محاسن الدين الحنيف وأسرار الشرع المنيف، وبذلك تتم حجته وتتمكن دعوته،

---

٩٠ من حديث في صحيح البخاري: ٨٦/١. مرجع سابق.

٩١ انظر القطان. مباحث في علوم القرآن: ٣١٦. مرجع سابق.

٩٢ الشاطبي. الموافقات: ٦٨/٢. مرجع سابق.

فإذا عرف المحاسن سمت نفسه لتعلم لغة القرآن ليتعبد بتلاوته، هذا هو السبيل المشروع في الدعوة للإسلام والصراط المستقيم لمن يبغي الوصول إلى دار السلام.[٩٣]

وذكر الزرقاني أنه لا بد للترجمة التفسيرية من أمرين:

أحدهما: أن يستوفي هذا النوع شروط التفسير باعتبار أنه تفسير.

الثاني: أن يستوفي شروط الترجمة باعتبار أنه نقل لما يمكن من معاني اللفظ العربي بلغة غير عربية .[٩٤]

شروط الترجمة :

وشروط الترجمة التي يجب أن تتوفر لمن يريد ترجمة معاني القرآن أو تفسيره نجملها في التالي:

١. معرفة المترجم لأوضاع اللغتين لغة الأصل ولغة الترجمة .
٢. معرفته لأساليبها وخصائصها .
٣. وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن .
٤. أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل ، بحيث يمكن أن يستغني بها عنه، وأن تحل محله ، كأنه لا أصل هناك ولا فرع .

وإذا كانت الترجمة بمعناها الحقيقي ولو للمعاني الأصلية لا تتيسر في جميع آيات القرآن، وإنما المتيسر الترجمة على معنى التفسير ، كان من الضروري

---

٩٣ العلامة السيد علوي عباس المالكي . فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التيسير شرح منظومة التفسير : ٢٦. مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٠م .

٩٤ العلامة محمد عبدالعظيم الزرقاني . مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢٩/٢ . دار إحياء الكتب العربية بمصر .

إشعار القارئ بذلك ، ومن وسائله كتابة جمل في حواشي الصحائف يبين بها أن هذا أحد وجوه ، أو أرجح وجوه تحتملها الآية.[٩٥]

ويقول الدكتور أمير عبد العزيز : أما ترجمة تفسير القرآن فهي سبيل لا مندوحة عنها لإيصال المعاني القرآنية إلى أذهان الناس من غير العرب ، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ، ومعلوم أن تبليغ الدعوة الإسلامية للناس فريضة ، وأن نشر حقائق الإسلام والقرآن كيما تقف عليها البشرية أمر مفروض ومحتوم ، ومن ثم ينبغي على أولي الأمر من المسلمين – العلماء والساسة – أن يضطلعوا بهذه المهمة الجليلة في توصيل حقائق القرآن وتعاليمه إلى الناس كافة ، في مختلف بقاع المعمورة ، وعلى مختلف اللغات الرئيسة المنطوقة في هذا العالم ، وإذا فرط المسلمون في هذا الشأن فذلكم تفريط كبير يضاف إلى سلسلة كبيرة من سوابق التفريط في كتاب الله، والتقصير في تبليغ رسالة الإسلام للبشرية .

ومثل هذه القضية لا يجوز أن تقع في الأذهان موضع الإهمال والنسيان، وإلاّ فإن المسلمين آثمون ومقصرون ، وهم كذلك مفرطون محجوجون أمام الشعوب الذين لا يعرفون عن القرآن والإسلام شيئاً ، والذين سيحاجون المسلمين حين السؤال في يوم العرض الأكبر، والحساب العسير يوم القيامة .[٩٦]

---

٩٥ مباحث في علوم القرآن : ٣١٧ ، نقلاً عن بلاغة القرآن : ٢١ . مرجع سابق .

٩٦ الدكتور أمير عبدالعزيز . دراسات في علوم القرآن : ٢٣٠ . مؤسسة الرسالة بيروت ، ودار الفرقان عمان سنة ١٩٨٣م.

ترجمة الحديث النبوي :

الإيضاح والبيان عن هذه المسألة يأتي في سياق ما تُطرِّق إليه في رواية الحديث بالمعنى، وهل يجوز أو لا يجوز؟ مع اتفاقهم على أنه إذا لم يكن الراوي عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينها أنه لا يجوز له رواية الحديث بالمعنى، وأنه لا يروي ما يستمعه إلا على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير.[٩٧]

كما أنهم اتفقوا أن هذا الاختلاف لا يجري في ثلاثة أنواع من الحديث، النوع الأول: فيما يتعبد بلفظه كالتشهد والقنوت ونحوها، والثاني: ما هو من جوامع كلمه ﷺ التي افتخر بإنعام الله عليه بها، والثالث: ما يستدل بلفظه على حكم نحوي.[٩٨] وقد وصفت لنا مصادر علوم الحديث حرص جميع الصحابة على أداء الحديث كما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى أن بعضهم ما كان يرضى أن يبدل حرفاً بحرف، أو كلمة مكان كلمة، أو يقدم كلمة على أخرى، حتى أن عمر رضي الله عنه كان يقول: «من سمع حديثاً فحدث به كما سمع فقد سلم».[٩٩]

ومع ذلك فقد ترخص بعض الصحابة عند الضرورة في رواية الحديث بالمعنى، وكان بعضهم إذا روى الحديث بقول في آخره: هكذا، أو نحواً من هذا، أو قريباً من هذا، أو كما قال، روي ذلك عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.[١٠٠]

---

٩٧ انظر الزين العراقي. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: ٢٢٦، المكتبة السلفية المدينة المنورة (١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م) . والباعث الحثيث شرح علوم الحديث لابن كثير: ١١٨، دار التراث – القاهرة . وابن الأمير. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار : ٣٩٢/٢ ، المكتبة السلفية – المدينة المنورة

٩٨ انظر تعليق توضيح الأفكار : ٢٧٢ . مرجع سابق .

٩٩ الحد الفاصل : ١٢٧ ب ، والكفاية : ١٧٢ .

١٠٠ انظر التقييد والإيضاح : ٢٢٦ – ٢٢٧ . مرجع سابق .

وعلى هذا المنهج سار التابعون ومن بعدهم، وما ذاك إلا لأن سنة رسول الله ﷺ تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الذي يجب التحري في حقيقة اللفظ الذي خرج من رسول الله ﷺ حتى يكون مصدراً حقاً من مصادر التشريع.

إلا أن هذا كله لم يمنع من أن يحدث خلاف بين المحدثين والفقهاء الأصوليين في جواز رواية الحديث بالمعنى، لمن توفرت فيه صفات العلم التي سبق ذكرها أو عدم الجواز، والأكثر على الجواز، معتمدين على أصل عملي في عهد الرسول ﷺ وهو إرسال الرسول ﷺ كتبه بواسطة رسل كانوا يترجمونها، أو يأذنون بترجمتها لمن أرسلت لهم هذه الكتب إلى غير العربية وبلغتهم، والترجمة هي تغيير للفظ الذي خرج من رسول الله. وأيضاً اعتمدوا على ما اتفق عليه العلماء، ومن غير ما يعلم فيه خلاف على جوازه، رواية الحديث بالعجمية للعجم، وهو رواية بالمعنى، ولأن الصحابة رووا أحاديث بألفاظ مختلفة في وقائع متحدة، وعلى إجماع المسلمين على جواز شرح الشريعة للأعاجم بألسنتها المختلفة لمن عرف ذلك، فإذا جاز بغير العربية فإنه أحرى أن يجوز بها [١٠١].

والمجيزون يروون في ذلك حديثاً رواه ابن منده في معرفة الصحابة من حديث عبدالله بن سليمان بن اكثمة للنبي ﷺ قال : قلت يا رسول الله إني أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك يزيد منك حرفاً أو ينقص حرفاً. قال: «إذا لم تحلوا حراماً ولا تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس» فذكر ذلك للحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا . إلا أن الحديث مضطرب لا يصح، بل رواه الجوز جاني [١٠٢] في الموضوعات كما قال السخاوي [١٠٣].

وبناء على ذلك فإن الترجمة لسنة النبي إلى غير العربية مما اتفق العلماء على مشروعيتها، ولم يعلم خلاف بين العلماء في ذلك، بل كما عرفنا قد اعتبرها

---

١٠١ ذكر ذلك شيخ الإسلام بن حجر . تعليقة محي الدين عبدالحميد على توضيح الأفكار : ٣٧٢ . مرجع سابق .

١٠٢ الجوزجاني : إبرهيم بن يعقوب بن اسحاق الجوزجاني المتوفى سنة (٢٥٩هـ) .

١٠٣ انظر توضيح الأفكار : ٣٩٢ . مرجع سابق .

بعض العلماء من أدلة مشروعية رواية الحديث بالمعنى، بشرط توفر الشروط المعتبرة التي سبق ذكرها في حق ترجمة معاني القرآن الكريم، ويضاف إلى ذلك ما اتفق على منع روايته بالمعنى كالمشكل، والمشترك، والمجمل، والمتشابه، وجوامع الكلم أو المصنفات المسموعة. كما نص على ذلك ابن الصلاح، والإمام النووي، وابن كثير وغيرهم [١٠٤]. فيمنع ترجمته، وما عدا ذلك فيجوز ترجمته بناء على ما ذكر من الأدلة والله أعلم.

١٠٤ المراجع السابقة ، وفيض الحثير : ٢٨ . مرجع سابق .

الخاتمة:

ونخلص بعد هذه الرحلة الطويلة في التنقيب عن اللغات نشأة وحكماً وتعلماً وتعليماً وتداولاً إلى الآتي:

١. أن لفظة اللغة لم ترد في القرآن وإنما عبر عنها بلفظ لسان في أكثر من آية، وقد جاء في السنة بيان للسان بأنه اللغة في قوله ﷺ : « لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه ».[١٠٥]

٢. إن نشأة اللغة مرتبطة بوجود الإنسان على هذه الأرض بدلالة قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ البقرة: ٣١.

٣. اللغات واختلافها آية من آيات الله عزوجل ، وهي من نعم الله العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان، ولذلك كانت محل تذكر وامتنان فقال تعالى : ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ الروم: ٢٢.

٤. أفضل اللغات وأخصها وأعلاها منزلة ومكانة هي اللغة العربية لاختيار الله عز وجل لها لتكون لغة القرآن الكريم والدين الخاتم، وجعلها شعاراً للإسلام والدين الخاتم.

٥. تعلم اللغة العربية واجب على كل مسلم خاصة فيما يتعلق منها بأداء فرائض الإسلام والواجبات المناطة بالمكلف من المسلمين .

٦. اللغات غير العربية هي اللغات التي يطلق عليها لغة العجم، وهم الذين لا ينطقون اللسان العربي .

٧. لكل إنسان لغة أم وهي اللغة التي يتكلم بها قومه، وتلقنها من صغره، وتلقى التعليم بها ، وهي اللغة التي لا يطالب الإسلام المتكلمين بها إذا أسلموا أن يتخلوا عنها ، لكنه يطالبهم بأن يتعلموا لغة دينهم الإسلام، وهي اللغة العربية ، حتى يقوموا بفرائضه ويؤدوا أحكامه.

---

١٠٥ سبق تخريجه .

٨. تكلم المسلم بغير لغته ومخاطبة الناس بها ليس ممنوعاً شرعاً، وإنما هو من المباح، وقد يكون في بعض الأحوال والظروف من المندوبات، بل وقد يكون من الواجبات .

٩. تعلم المسلم المتكلم بالعربية لغير العربية مشروعة، ويدور في حكمها الأحكام الخمسة: الوجوب، الندب، الإباحة، الكراهة، التحريم.

١٠. ترجمة اللغات وقيام المسلم بها سواء في اللغة العربية أو غيرها من الأعمال المشروعة، سواء أكانت الترجمة حرفية، أو تفسيرية، تتناولها الأحكام الخمسة: الوجوب، والندب، والإباحة، والكراهة، والتحريم.

١١. مع الإجماع من علماء المسلمين على تحريمها في حق القرآن الكريم بالنسبة للترجمة الحرفية، لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه، واللغات الأخرى لا تفي بحقه ولا تعبر عن معانيه ولا تؤدي مقاصده ومراميه.

١٢. أما السنة فلا تجوز الترجمة فيما يفيد لفظ التعبد كالتشهد والقنوت، أو فيما هو من جوامع كلمه ﷺ ، أو فيما يستدل بلفظه على حكم نحوي .

وبهذا أكون قد أتيت على آخر البحث فأرجو من الله أن أكون قد وفقت وحققت ما هدفت إليه والله المستعان والحمد لله رب العالمين.